

ابراهيم الشيخ: موقف تاريخي

(تعقيب علي مقال زين العابدين صالح)



بقلم: بلّة البكري

(ballah.el.bakry@gmail.com)

مدخل

أعلنت الحكومة السودانية، في يناير الماضي، عن (وثبة) في أمر الحوار الوطني المفضي الي الحل الشامل للمعضلة السياسية السودانية. رحب من صدّقوها بالفكرة واصطفوا، في عمائم وملاحح بيضاء، من غير سوء، في الصفوف الأمامية مستمعين الى خطاب طويل ملئ بكل صنوف علم البديع في شكله، لكنه أجوف في محتواه. وامتنع عن الحضور من شكّوا في صدق نواياها. مضى على ذلك الحدث السياسي الهام نصف عام. فأين نحن الآن وماهي مآلات الطريق الذي اختارته الحكومة لهذه السفينة المكرومة – سفينة ما بقي من السودان العريض؟

اعتقالات

تم في مايو الماضي اعتقال السيّد / الصادق المهدي زعيم حزب الأمة المعروف والذي خرج من المعتقل مؤخرًا. وأعقبه اعتقال السيّد / ابراهيم الشيخ وبعض أعضاء حزبه ولا زالوا في سجون الدولة في شتى مدن كردفان. ولأن السيّد المهدي حر طليق يمارس عمله السياسي كالمعتاد فموضوع هذا المقال هو اعتقال ابراهيم الشيخ رئيس حزب المؤتمر السوداني وعلاقة هذا الإعتقال بموقفه من الحوار الوطني. وجدير بالذكر أن الرجل ممن شكوا في صدق نوايا الحكومة في أمر دعوتها للحوار.

جاء في مقال الصحافي الراتب زين العابدين صالح المنشور بهذا الموقع هذا الأسبوع بعنوان "المؤتمر السوداني - موقف تاريخي" ما يلي: (أصدر حزب المؤتمر السوداني بيانًا سياسيًا، بين فيه إجراءات السلطة ضد معتقلي الحزب، وأوضح أنه قد تم توزيعهم علي عدد من سجون كردفان، ويؤكد البيان إن زعيم الحزب يقف كالطود شامخًا في مواجهة النظام، وفي نفس الوقت، يحذر الحزب بأن تكون هناك مؤامرة مدبرة من قبل النظام بسبب عزل رئيس الحزب، تستهدف حياته، أو اقتحام للسجن من قبل جنجويد النظام لتصفية رئيس الحزب، ويقول البيان ذلك ليس بمستبعد، لما لأجهزة النظام من أرث تصفوي ضارب في القدم). أ.هـ

ويواصل صالح في مقاله: (ولا اعتقد إن النظام سوف يجد تبريرًا لاعتقال رئيس حزب المؤتمر السوداني، سوي إنه أخذ الاعتقال ذريعة لمحاولة الضغط عليه، لكي يخفف من معارضة النظام، بالصورة التي استطاع فيها الحزب كسب قاعدة جماهير تتزايد باستمرار، للمواقف البطولية التي قدم بها الحزب نفسه)

مرافعة

ثم يأتي صالح لدحض الأسباب التي استندت عليها الحكومة وقد لخصها في مقاله، بمهنية تكفي مشقة البحث، وأدرج هنا الأسباب (ليس حرفياً) كمرافعة ضد اعتقال ابراهيم ورفاقه :

1. تقول الحكومة أن رئيس حزب المؤتمر السوداني (ابراهيم الشيخ) قد انتقد ممارسة ما تسمي بقوات الانتشار السريع أو قوات الدعم السريع.
 2. أكد العديد من الكتاب في مقالاتهم، إن رئيس بعثة قوات اليوناميد (بن شمباس) قال في مؤتمر تشاد، إن هذه القوات ارتكبت العديد من التجاوزات.
 3. حديث والي ولاية شمال كردفان، أحمد هارون، ما يزال موجوداً في قناة "يوتيوب" في اللقاء الجماهيري الذي تحدث فيه عن الانتهاكات، والتي حدثت من قبل هذه القوات، الأمر الذي حدا به للمطالبة بخروجها من ولاية كردفان في 72 ساعة - وقد كان.
 4. وقبل كل هؤلاء لم ينف قائد هذه القوات، اللواء عباس عبد العزيز، إن قواته ارتكبت انتهاكات مخالفت ضد المواطنين، ولكنه عزاها لمخالفات فردية.
 5. ثم هنالك حجة (معقولة) مما يشكك في السند القانوني والدستوري، حول القانون الذي يسمح بتكوين قوات مسلحة خارج مؤسسة القوات المسلحة المعروفة. وإذا تم هذا التكوين بموجب قانون القوات المسلحة، من حق الشعب أن يعرف، الأسس الدستورية التي استندت عليها (الحكومة) في تكوين هذه القوات.
 6. اتفق الناس عموماً أن هذه القوات هي قوات الجنجويد المعروفة، وهذا الاسم في حد ذاته، لديه مدلولات سياسية سالبة تخشاهها الحكومة.
 7. هناك أيضاً (وهذه لم ترد في مقال صالح) لقاء في قناة (يوتيوب) بين قائدها العميد/حميدي والصحفية البريطانية نعمة الباقر التي تعمل في قناة (سي إن إن) العالمية تم قبل سنوات في الميدان يؤكد هوية هذه القوات إذا كانت هناك من حاجة لتأكيد. وقدما قالوا:
- وليس يصح في الأذهان شئٌ ** إذا احتاج النهار الى دليل

فكيف إذاً تجد (الحكومة) تبريراً لاعتقال رئيس حزب المؤتمر السوداني، ابراهيم الشيخ، سوي إنها على حد قول صالح: (أخذت الاعتقال ذريعة لمحاولة الضغط عليه، لكي يخفف من معارضة النظام أو بغرض ازاحته) وازاحة حزبه من العملية التفاوضية برمتها ولو بتهم ملفقة لا تستند علي حقائق. ونوافق الصحافي زين العابدين صالح أن: (قضية اعتقال رئيس حزب المؤتمر السوداني، وعددا من قيادات الحزب، تحتاج إلي وقفة من كل القوى الديمقراطية في السودان، باعتبار إن منهج حزب المؤتمر الوطني الحاكم منذ 1989 بانقلاب عسكري، هو تصفية قيادات المعارضة، و محاولة الضغط عليها لكي يلين عودها، وترخي صلابتها، بهدف تدجينها كما دجنت قوي أخرى).

نعم أنها حالة من التخبط وعدم الاتساق (Inconsistency) تؤكد حالة ضعف النظام، والحصار الجماهيري والعالمي الذي يتعرض له. وهذه الحالة جعلت الحكومة تتخبط، بين إعلانها الحوار الوطني الذي أطلقتته ب (وثبة) تم الأعداد لها واعلانها بخطاب من (العيار الثقيل) أخذ زهاء الساعة لإلقائه. ف(الواثب) ليس ك(الماشي) على مهل؛ بل هو سريع في انجاز ما وثب من أجله وكأنه ينقض عليه انقضاضاً لأن في الأمر ما يدعو لذلك. فهل كانت حقاً وثبة أم كذبة؟! فدعنا عزيزي القارئ نعلل لقولنا هذا أدناه.

وثبة أم كذبة؟!

يجب أن لا ننسى أن النظام الحالي في الخرطوم أتى، في البدء، للسلطة بانقلاب عسكري تخفى صانعه وراء ستار مستقل بارسال عرابه للسجن مع جمهرة الديمقراطيين بما فيهم رئيس الوزراء السابق الذي انقلبوا عليه. هذا الفعل هو اعتداء على الديمقراطية ورفض لها باعتبارها وسيلة سلمية لتداول السلطة. هذا أول الأدلة على كذب دعاوى النداء الديمقراطي في الأساس – لأن فاقد الشيء لا يعطيه. هذه واقعة تاريخية مثبتة فكيف الفكك منها؟

وقد بدأ، مؤخراً، أن عملية إطلاق دعوة الحوار وتضخيمها حتي صارت دعوة ل (الوثوب) القصد منها كسب الوقت فقط حتى يحين موعد الانتخابات في ابريل من العام القادم.

وهذا "كرت" مضمون للحكومة وربما وجد دعماً دولياً بأي شكل تمّ، كما رأينا في انتخابات عام 2010. فقد كان واضحاً أن الانتخابات السابقة افتقرت لأدنى معايير النزاهة والاستقلالية والمنافسة الشريفة حتى سميت هزئاً بغزوة "ذي الخجّة"! أما الآن وبعد مضي ستة أشهر على الدعوة ل (وثبة) فقد أكدت الحكومة على لسان رئيسها مؤخراً أن لا حوار مع الجبهة الثورية ولا إتفاقيات معها أو تعاون. فكيف يكون هناك حوار جاد في غياب الجبهة الثورية الحاملة للسلاح؟ بل كيف يكون هناك حوار جاد والحرب الأهلية مشتعلة في دارفور والنيل الأزرق وجنوب كردفان؟ الجبهة الثورية شريك أساسي في الحوار ولا يستقيم أن تقصى منه تحت أي مصوغ. فكيف نثب لحوار وطني شامل وأحد مكوناته الأساسية مفقود؟

كما أكدت الحكومة، مؤخراً، نيتها على عقد الانتخابات الرئاسية والقومية والولائية في مواعيدها - في ابريل 2015. إذاً كيف للحوار أن تقوم له قائمه، وثوباً كان أم زحفاً على البطون، والحكومة تحشد امكانيات حزبها الهائلة لخوض الانتخابات في هذا الجو المشحون بالرفض من كل الأطراف ما عدا (المؤتمر الشعبي) والذي هو صنو (الوطني) وشريكه فيما حاق بهذه البلاد من مآسي. كل هذا يجعل من هذه (الوثبة) مجرد كذبة صدّقتها من صدّقتها لشئ في نفسه أو في نفس يعقوبه! ومن ظن أن الشعب السوداني كله في "راسه قنبور" فليراجع قدرته العقلية. أنها "كذبة" تضاف الى رصيد الحكومة المليء بمثيالاتها.

خاتمة

ومرة أخرى أقتبس من أقوال صالح في مقاله الضافي المشار اليه هنا والذي اتفق مع ما جاء فيه عموماً: أن اعتقال رئيس المؤتمر السوداني، ابراهيم الشيخ، وعدد من قيادات حزبه، لن يثني القوى السياسية في نضالها من أجل التغيير. لذلك جاءت وقفة ابراهيم وطلّاع حزبه لتقدم نموذجاً جديداً من النضال الوطني الذي يركز على الثبات على المبادئ. وهذه

نقلة نوعية سوف تشكل تحولا في الثقافة السياسية السودانية. فهذا نوع جديد من القيادات لا تغريه مغريات السلطة ولا المساومة علي مبادئ الجماهير، إنما تتكيف مواقفه مع المنطلقات الفكرية التي تشكل وعيا وسياسة جديدة عند الأجيال الجديدة. أنه محور جديد لبلورة تطلعات الشارع السياسي بأكمله الى قيادة صلبة لا تلين ولا تهاون. لقد أصبح ابراهيم - بوقفته الشماء هذه - ايقونة نضال عصية علي الكسر والآنكسار. وها قد أضحي هو ومعتقلي حزبه في سجون النظام تحت المراقبة الداخلية والخارجية الدولية من كل منظمات حقوق الإنسان الإقليمية والعالمية. فان خرج فهو بطل قومي سجل موقفا تاريخيا ناصعا وإن بقي في هذا الحبس الجائر فهو شوكة حوت، كما يقولون. وأفضل للحكومة أن تتركه حرا طليقا، فهو برئ من كل تهمها التي لا سند لها. فمن يا ترى أحق بالمسائلة: من قوّض نظاما ديمقراطيا قائما واعتدى على كل مؤسسات الدولة بفقّه (التمكين) أم من يطالب بتغيير جاد يعيد للشعب الديمقراطية المسلوبة؟ مالكم كيف تحكمون؟

ولذا على الحكومة أن تعي أن هذا التعدي الصارخ على القيادات السياسية ومصادرة حرياتنا سيقودها لطريق المواجهة، مرة أخرى، مع المجتمع الدولي كله - بدءاً بالاتحاد الأفريقي (The African Union) الذي كلّف رجلا بقامة الرئيس تابو مبيكي (President Thabo Mbeki) لمتابعة امر الحوار الوطني في السودان ب(مانديت) محدد لا لبس فيه. وهذا الطريق وعزّ المسالك لسنا في حاجة لوصف وعورته للحكومة وقياداتها فقد جربوه في أكثر من محفل - فليسألوا انفسهم عما لاقوه فيه من متاعب. فلم يعد يجدي استخدام النظام القضائي السوداني كوسيلة لمحاربة المعارضين السياسيين - فقد فقدَ الأخير هيئته ومصداقيته لأسباب عدة لسنا هنا في معرض تفصيلها.

وشئ آخر تتناساه الحكومة من وقت لآخر هو أن هناك من أبناء هذا الشعب المقدم من لا يخاف ولا يخشى إلا الله - وفيما يبدو فإن ابراهيم الشيخ هو حادي ركب هؤلاء. فقد شقّ الرجل - بأقواله وأفعاله - طريقا في النضال (السلمي) (المتحضر) غير مطروق. فالتحية والتجلة له ولرفاقه تحية بهامة الوطن - فما هم بصدده، مضحين بوقتهم ومالمهم بل وحرّياتهم، هو همنا العام الأوحده ولا محيده من نصره ونصرته.